10

حسن دياب

عبد الناصر ...الأصل ... والصورة ...

❖ كان يهرب من الكاميرا .. ولا يقف أمامها إلا للضرورة .

❖ كان يرفض التمثيل أمام الكاميرات .

❖ لم يكن الرئيس يفضل سوى الملابس المصرية والقماش المصري . وظل يرتدي اللون الرمادي حتى مات .

obeikan.com

obeikan.com

كان الزعيم الألماني «هتلر» مغرما بقراءة الصورة خاصة صور القادة الذين سيقابلهم في معاركه القادمة ... فلم يكن يرسم خطته العسكرية قبل أن يقرأ صورة القائد الذي سيقابله فيها ، ليقرر ماذا سيفعل في مواجهته على ضوء ما تقوله له صوره الموضوعة أمامه على المكتب ! .

إلى هذا الحد من الخطورة كان دور الصورة في رسم الخطط وتقرير مصير ومسار التاريخ فالناس ـ عادة ـ يحاولون أمام الكاميرا أن يبدوا على غير طبيعتهم فقد يتكلفون بالابتسامة أو يصنعون الهيبة أو يتظاهرون بما ليس فيهم من ملامح تنقصهم .

وفي ذكرى ميلاد جمال عبد الناصر التقيت مع الذين يقفون خلف الكاميرا لنعرف منهم «الصورة الحقيقية» لمن أوقف أمامها ... وأمامهم ، ليست صورة فوتوغرافية ولكنها صور إنسانية رصدوها بأعينهم وحفروها في ذاكرتهم .

كان حسن دياب يعمل في « أخر ساعة» حين كانت الثورة في بدايتها الأولي وذات يوم وبينما كان مجلس الوزراء يقوم بعمله اليومي ... فوجئ بوجود مصطفي أمين يدخل إلى مبنى رئاسة الوزراء ... ومضت بعض الدقائق حتى خرج مصطفي أمين واستدعي حسن دياب مصور آخر ساعة ليلتقط بعض الصور لشخص جالس كان يرتدي بدلته العسكرية ولاحظ حسن دياب أن هذا الشخص كان بسيطا ولم يكن متكلفا أمام الكاميرا ورغم ذلك فقد أحس بأهميته ... وقد صدق حدس حسن دياب حين تقدم محمد نجيب رئيس الوزراء في ذلك الوقت ... وطلب صورة بجوار هذا الشخص الذي قال «ما عنديش مانع» إذن لابد وأنه أهم من شخص رئيس الوزراء ثم ها هو مصطفي أمين يطلب هو الآخر صورة معه .. وحين خرج حسن دياب سأل مصطفي أمين من يكون هذا الشخص ؟ فردد مصطفي أمين اسمه «جمال عبد الناصر» .

لم يذكر مصطفي أمين شيئا عن ذلك الشخص أكثر من مجرد اسمه «جمال عبد الناصر» ورغم ذلك فقد شعر حسن دياب بأن جمال عبد الناصر هذا هو أهم شخص في رجال الثورة ... فأخذ يلاحقه بالكاميرا ولم يشأ المصور الشاب أن يذكر شيئا عن اكتشافه لبقية الزملاء من المصورين ليكون له السبق والانفراد وحده دون غيره .

وهكذا كما يقول حسن دياب .. وجدت نفسي أهم مصور في الرئاسة قبل أن يختارني جمال عبد الناصر لأكون كبير المصورين .

ذات يوم تقدمت لتصوير جمال عبد الناصر في إحدى المناسبات - فوجدته - يسألني لماذا لم تحضر أمس وأول أمس ؟ فقلت له لم يكن نوبتي في العمل فسألني وهل تتناوبون العمل في الرئاسة؟ قلت نعم ... قال أنا أريدك معي على طول . فنقلت رغبة الرئيس إلى محمد حسنين هيكل الذي كان رئيس تحرير آخر ساعة حيث كان عملي الرسمي في ذلك الوقت فرحب هيكل وبذلك أصبحت ملازما للرئيس حتى يوم وفاته .

لم ألاحظ مطلقا - والكلام لحسن دياب - أن جمال عبد الناصر كان يحب الوقوف أمام الكاميرا ... بل كان يستجيب لطلبات المصورين بأوضاع معينة في التصوير تماما ... مثلما يستجيب الممثل لطلبات المخرج حتى أنه كان يعيد السلام باليد على ضيوفه الذين كان يستقبلهم لتلتقط له الصور من أحد المصورين الذين فاتتهم فرصة التقاط الصورة في حينها .

حينما تغير الحال ... وجاء جمال عبد الناصر إلى الحكم فوجئنا بشخص مختلف تماما كان تلقائيا وطبيعيا ولا يحب الافتعال أو التكلف ... وذات يوم طلب منه أحد الزملاء أن يعيد السلام على أحد ضيوفه ليتمكن من التقاط صورة فاته التقاطها في

حينها فقال الرئيس : أنت عايزني أمثل ؟ !

ذات يوم - كما يروي حسن دياب - كان من المقرر أن يقوم بزيارة إلي الجبهة فجاءوا له بزي عسكري فرفض ارتداءه لأنه كان يرفض التكلف فقالوا له إنه زى عادي بدون نياشين أو أوسمة أو حتى رتب عسكرية وأن ارتداءه ضروري حتى لا يتمكن العدو من تمييزه بين الجنود ... ولكنه رفض كل تلك الحجج وقال «اتركوني بطبيعتي أفضل » .

كان جمال عبد الناصر يرفض التمثيل أمام الكاميرات وحين شرح له المصورون بأن ذلك ضروري في بعض الأحيان حتى لا ينقطع عيشهم بسبب صور فاتتهم فرصة التقاطها مما يعطي انطباعا لدي رؤساء التحرير بالصحف التي يعملون بها أنهم مهملون أو متقاعسون وافق جمال عبد الناصر على تكرار اللقطة ولكن في مرات قليلة جداً . يقول الأستاذ طاهر حفني «الجمهورية» ذات مرة وصلت إلى مبني الرئاسة متأخرا وكان الرئيس قد ودع لتوه السفير الإنجليزي بالقاهرة ...وحين لمحني أجري بكل طاقتي نزل الرئيس درجات السلم وأوقف السفير الإنجليزي بعد أن هم بالانصراف وأعاد السلام عليه لأتمكن من التقاط الصورة . وقال لي«المرة دي سماح » .

معاملة إنسانية للمصورين

ويقول زكي عبد التواب «دار الهلال» لم يكن عبد الناصر يحب الوقوف أمام الكاميرا ورغم ذلك فقد كان يعامل المصورين برفق شديد بل كان يعنف من يحول بينهم وبين أدائهم لعملهم على النحو الصحيح .

ويقول أنور سعيد «الجمهورية» ذات يوم شكا المصورون من أن رجال الحرس يحولون بينهم وبين التصوير ... وأنهم بإحاطتهم للرئيس عن قرب يفسدون

الأوضاع الملائمة للتصوير فما كان من الرئيس إلا أن أعطى تعليماته المشددة إلى رجال الحرس «دعوا المصورين يؤدون عملهم كما يريدون» .

ويروي رشاد القوصي :ذات يوم اقترب مني أحد الحراس وفي هوجة الزحام ضربني بكوعه دون قصد منه فوجدت الرئيس يعنفه وطلب منه الابتعاد عن طريقي .

ويقول عبده خليل «الجمهورية» لم يكن الرئيس يحب أن يهان أحد في موكبه ، وكان يعامل الجميع بطريقة إنسانية ... ويروي المصور عبده خليل : كنا في زيارة لجبل الدروز بسوريا أيام الوحدة ... وكان البرد شديداً وقارسا . فجأة توقف موكب السيارة ووجدنا الرئيس يأمر بأن ينزل المصورون من السيارة المكشوفة التي يستقلونها وأن يركبوا سيارة مغطاة بدلا من رجال الحرس .

ويقول الأستاذ أميل كرم : في إحدى الزيارات التي كان يقوم الرئيس بها لموقع الإنتاج ، كنت أقف على كرسي لأتمكن من التقاط الصور من وضع أفضل .. وفجأة وجدت أحد الزملاء يجذبني ليقف مكاني فوقعت على الأرض ..وحينما قمت لأنتقم منه نظر إلى الرئيس نظرة ذات معنى .. فخجلت من نفسي .. وعلمت بعدها أنه استدعى زميلي الذي أوقعني وعنفه كثيراً .

ويروي المصور زكي عبد التواب حادثة شبيهة فيقول : حينما كنا في الأراضي المقدسة ... كنا جميعا بملابس الإحرام ، وبينما كنت واقفا على كرسي لألتقط الصور .. وجدت شخصا من «الياوران» يجذبني من ملابس الإحرام لينزلني من على الكرسي ... وبعدها جاء من يستدعيني لمقابلة الرئيس ، وحين دخلت عنده وجدت «الياور» الذي أوقعني يقف مطأطئا رأسه ... وقال لي الرئيس : لا تزعل فقد أخذت لك حقك .

ويقول المصور أنور سعيد أن الرئيس لم يكن يحب الوقوف أمام الكاميرا .. وكذلك كان والده رحمه الله .. فقد كنت أعمل بمكتب جريدة الجمهورية بالإسكندرية ، حيث تعيش أسرة جمال عبد الناصر وكنت كلما حاولت التقاط صورة للحاج عبد الناصر ، والد الرئيس ـ كان يرفض ذلك . فقد كان يرفض أن يتميز عن أي مواطن من مواطني الإسكندرية .. وكان عز العرب ـ شقيق الرئيس ـ يعمل رئيسا لمكتب الجمهورية بالإسكندرية ـ ولم يكن يتميز عن أي أحد منا ... نحن زملاؤه بالمكتب ... بل كان كبيرنا في العمل وفي الأخلاق والتواضع ونظافة اليد واللسان .

صور ممنوعة

لم يكن الرئيس يتدخل في عمل المصورين ... ولم يكن يطلب منهم التقاط صورة معينة ، أو حتى يرفض لهم التقاط صورة خاصة . إلا نادرا جدا .

يقول الأستاذ حسن دياب كبير مصوري الرئاسة في مؤتمر جدة الذي عقده عام ١٩٥٥ التقطت صورة لإمام اليمن السابق يسلم فيها على الرئيس وهو ينحني بقامته ..تركني الرئيس ألتقط الصورة ثم طلب مني بعدها ... ألا أنشرها لأنها ربما جرحت كبرياء الإمام .

ويقول المصور عبده خليل : في أول زيارة له ليوغسلافيا قام الرئيس تيتو بتقليد الرئيس عددًا من الأوسمة والنياشين ... وقمنا بالتقاط الصورة له وهو يضعها على صدره .. تركنا الرئيس نقوم بعملنا ... ثم طلب منا أن نحتفظ بهذه الصورة لأنفسنا وألا ننشرها بمصر لأنه لم يكن يحب البهرج أو الزواق ... !

ويقول طاهر حنفي أن الرئيس لم يكن يمنعنا من التقاط أية صور مهما كانت ، ولكنه كان يمنعنا فقط من نشرها . وفي مرات نادرة جدا ... على سبيل المثال : كان

الرئيس لا يحب نشر صور الولائم أو موائد الطعام لأنه يعتبر الأكل عورة من العورات التي يجب سترها ... وكان محقا في ذلك عملا بقول الرسول الكريم .

ويضيف المصور طاهر حفني بأنه ذات يوم وبينما كان الرئيس يقوم بافتتاح المعرض الصناعي ... وقف في جناح إحدى شركات النسيج وسأل المسؤول عن نوع معين من «الفانلات» الداخلية لم يفهم المسؤول قصد الرئيس .. ففوجئنا بالرئيس يخلع قميصه ويجذب الفانلة الداخلية ويقول للمسؤول «أنا أسأل عن فانلة مثل هذه ... أنا ألبس منها لأن ثمنها رخيص ونوعها جيد » التقطت هذه الصورة الطريفة للرئيس ولم يطلب مني عدم التصوير رغم غرابة الموقف ! .

ويروي زكي عبد التواب أنه التقط صورة للرئيس وهو ينحني ليرفع جوربه الذي تهدل ونشرت الصورة ولم يعلق عليها الرئيس .

ويقول الأستاذ رشاد القوصي : لم يكن الرئيس يمنع مصورا من التقاط صورة يراها مناسبة ، ولكن رجال الرئيس هم الذين كانوا يفعلون ذلك متطوعين ودون تعليمات ، مثلا في بداية الثورة ، كنت أقوم بالتقاط صورة للرئيس وهو يلبس حذاءه بنفسه عند خروجه من المسجد ، فمنعني أحد رجال مكتبه ، رغم أن الصورة كانت تعبر عن بساطة الرئيس بالمقارنة بما كان عليه الملك فاروق الذي كان يوجد بقصره شخص مهم جدا يقوم بوظيفة «اللبيس» أي أنه لم يكن يفعل شيئا أكثر من تلبيس الملك الحذاء .

يقول حسن دياب كبير مصوري الرئاسة ... أن جمال عبد الناصر لم يكن يعاني من «عقدة الغلاف» وكان طبيعيا وتلقائيا ... ولم يكن يتعمد الإصلاح من هندامه أمام الكاميرا ، ولم يكن يتكلف أوضاعا معينة ، أو هيئة خاصة . كان كذلك منذ أن كان شابا وحتى مات . لم يكن يرتدي زيا خاصا للتصوير - بل لم يكن يرتدي غير

زيه العادي الذي لا يختلف عن زى أي موظف بالحكومة .

ويقول أنو سعيد : حين كنا نرافق الرئيس في زيارته لدول الخارج كنا نتهافت على شراء الملابس والهدايا ولم يكن الرئيس يفضل سوى اللباس المصري والقماش المصري . وظل يرتدي اللون الرمادي حتى مات .

صور إنسانية

يروي المصور رشاد القوصي ... في إحدى زيارات الرئيس للإسكندرية لاحظ غياب زميلنا حسن دياب فسأل عنه ... وحين علم أنه مريض أرسل إليه طبيبه الخاص ليقدم له ـ شخصيا ـ تقريرا عن حالته الصحية .

ويقول أميل كرم ... ذات يوم كنا في إحدى قرى الصعيد ، وبسبب الزحام الشديد حول الرئيس انقطع الكابل الكهربائي الخاص «بالفلاش» في آلة التصوير التي أحملها . وأمسكت بي الكهرباء وارتميت على الأرض مغشيا على ، أمر الرئيس بأن أنتقل في سيارته إلى المستشفي بمرافقة طبيبه الخاص ... وأرسل لي باقة ورد بالمستشفى وأمر الأطباء بألا يسمحوا لي بالخروج قبل أن يتم شفائي تماما .

ويروي زكي عبد التواب ... بينما كنت أقوم بتصوير الزحف الجماهيري الشديد على قصر الرئاسة في دمشق .. أخذت أتراجع أمام زحف الكتل البشرية حتى علق فخدي بسيخ مدبب بالسور الحديدي للقصر .. ووجدت أمامي أحد رجال حرس الرئيس يقوم بمساعدتي ، فقد لمحني الرئيس وأمر رجاله بإنقاذي ... والغريب أنني لم أكن أشعر بذلك أبدا وأنا في غمرة الحدث الجلل !

ويقول عبده خليل : ذات يوم كنا في بورسعيد .. خرجت بالجماهير الغفيرة لاستقبال الرئيس ... وبينما كنا نقوم بالتصوير فوجئنا بالرئيس يعنف أحد رجال

الحرس لأنه ضرب صبيا صغيراً تعلق بسيارته ... !

ويروي طاهر حفني ... بينما كنا في كوكب الرئيس في إحدى زياراته لمدينة بورسعيد فوجئنا بشخص يلقي نفسه أمام سيارة الرئيس . وهم الحرس بضربه . فأمرهم الرئيس بأن يسمحوا له بالتقدم ....وقف الرجل أمام الرئيس شاكيا سوء الحالة وقلة المال بسبب تعطله عن العمل . أمر جمال عبد الناصر رئيس هيئة القناة بأن يجد له وظيفة في هيئة القناة ... فتهلل الرجل فرحا وهم بالانصراف ولكن الرئيس استبقاه معه في سيارته ليتناول طعام الغذاء معه !

ويقول أنور سعيد : كان الرئيس في طريقه إلى مرسي مطروح عبر الطريق الصحراوي من الإسكندرية . وفجأة وقفت سيارة الرئيس أمام سيدة عجوز من البدو كانت تشير للسيارة ... دعاها الرئيس للركوب في سيارته وأخذ يتحدث معها في شئون البدو ويطمئن منها على أحوالهم ... وهي لا تعرف من الذي يتحدث معها .

ويقول أميل كرم : ذات يوم كنت أقوم بتصوير صائب سلام والرئيس يستقبله بالقصر الجمهوري ... وفجأة دوى صوت انفجار يشبه صوت إطلاق الرصاص لقد انفجر الكابل الخاص «بالفلاش» الذي أحمله . ومرة أخرى ضحك الرئيس وقال مداعبا «تاني يا أميل ؟ ... لازم أنت محسود خللي حد يبخرك ».